المحور الثالث عشر

المحور الاعلامي للعام 2020

المحور الثالث عشر

المحور الاعلامي للعام 2020

أ.م.د. عادل عبد الرزاق الغريري(*)
د. راجي نصير(**)

13 ـ 1: تمهيد

شهد العراق خلال عام 2020 احداثا عدة، ظهرت تأثيراتها في الواقع العراقي، وتناولتها وسائل الاعلام العراقي بالتغطية الإخبارية والمعالجة ومن اهم تلك الاحداث:

اولا: التظاهرات الجماهيرية التي انطلقت شرارتها في 25 تشرين الاول (أكتوبر) من عام 2019 واستمرت حتى عام 2020 واستقالة حكومة السيد عادل عبد المهدي وازمة تشكيل حكومة جديدة واختيار رئيس وزراء بديل.

ثانيا: حادثة اغتيال الشهيد ابو مهدي المهندس والجنرال قاسم سليماني قرب مطار بغداد في 3/كانون الثاني (يناير) 2020 من قبل الولايات المتحدة الامريكية وما تلتها من أحداث.

ثالثا: انتشار فيروس كورونا في العراق، وتعطيل الحياة في عموم البلاد، وفرض الحظر وتعطيل الدوام في معظم مؤسسات الدولة

وعند الاطلاع على كل تلك الاحداث التي مر بها العراق وكيفية تعامل وسائل الاعلام معها، يمكن ان نرصد الآتي:

13 ـ 2: الاعلام وحراك تشرين

نلحظ تباينا في التغطيات الاعلامية للتظاهرات التي شهدتها البلاد منذ مطلع تشرين الاول (أكتوبر) من عام 2019، وطريقة تعاطي حكومة السيد عادل عبد المهدي معها وتأثير انقطاع الانترنت وحجب مواقع التواصل الاجتماعي على تفاعل الرأي العام مع الأحداث، بالإضافة الى ما ادت اليه هذه الاجراءات من نتائج سلبية. وهنا يمكن ان نرصد بعض الملاحظات حول التغطيات الاعلامية للتظاهرات، ونؤشر بعض النقاط من خلال رصدنا

(*) كلية الإعلام/جامعة بغداد.
(**) باحث وإعلامي.

لمحتوى عينة واسعة من وسائل الاعلام حول عملها عشية انطلاق الاحتجاجات، وأثر الحظر الحكومي للأنترنيت على التغطيات الاعلامية، وتحول مواقع التواصل الاجتماعي والمدونين الى المصدر الرئيسي لوسائل الاعلام المحلية والعربية والأجنبية.

فقد ركزت بعض الفضائيات على اسباب التظاهرات التي انطلقت للمطالبة بالخدمات وتوفير فرص العمل ومكافحة الفساد، وشارك فيها عشرات الآلاف من المتظاهرين وكان معظمهم من الشباب في بغداد ومحافظات الوسط والجنوب، تبعتها اجراءات حكومية تمثلت باستخدام العنف ضد المتظاهرين وحظر خدمة الانترنيت، الى جانب هجمات طالت وسائل اعلام عديدة في بغداد شملت قنوات محلية وعربية كانت تغطي الاحتجاجات، وأدانت العديد من المنظمات الدولية تلك التصرفات الحكومية، كما فعلت الشيء نفسه المنظمات المعنية بحرية الرأي والتعبير وحماية الصحفيين، واستنكرت استهداف قنوات فضائية وصحفيين واعلاميين.

وأشر تقرير الرصد بعض التفاصيل عن القنوات الفضائية وبعض الصحف والاذاعات المحلية حول ازمة التظاهرات واستقالة حكومة السيد عادل عبد المهدي وتشكيل الحكومة الجديدة وكما يأتي:

13 ـ 2 ـ 1: وسائل الاعلام الخاصة ذات التوجه الليبرالي

يبدو أن معظم تلك القنوات وخاصة قناة الشرقية وقناة دجلة وقناة nrt العربية وقناة الرشيد لم يوثر عليهما قطع الانترنت، اذ استمرت تغطياتهما الاعلامية معتمدة على استوديوهاتها الخارجية في اربيل ولندن بالنسبة لقناة الشرقية، وفي الاردن بالنسبة لقناة دجلة، فقد تصدرت عناوين نشراتهما «نازل اخذ حقي تواجه بالرصاص» او «احتجاجات تشتعل في بغداد و6 محافظات اخرى» او «محافظات العراق تشهد تظاهرات كبرى احتجاجا على الخدمات والفساد» و«المتظاهرون يرجعون سيارات رش المياه مع هتافات الشعب يريد اسقاط النظام» «متظاهرو ساحة التحرير في بغداد يجبرون عجلات مكافحة الشغب على الانسحاب». كما كثفت من تغطيتها لاخبار استقالة حكومة السيد عادل عبد المهدي، وربطتها بمطالب المتظاهرين، وتصريحات المرجعية في النجف الاشرف التي حثت الحكومة على الاستقالة بعد فشلها في تقديم الخدمات واجراء الاصلاحات وحماية التظاهرات.

وركزت تلك القنوات على دور التظاهرات والناشطين في اختيار رئيس الوزراء الجديد، فقد ابرزت تلك القنوات حملة تسقيط اختيار محمد عبد الأمير علاوي وكذلك عدنان الزرفي اللذين لم يتمكنا من توثيق علاقتهما مع قادة الحراك الشعبي وكان ذلك بارزا في تلك الوسائل.

13 ـ 2 ـ 2: وسائل الاعلام الرسمية

وتمثلت بقنوات شبكة الاعلام العراقي وخاصة قناة العراقية نيوز التي لم يؤثر قطع الانترنت في بثها، اذ استمرت تغطيتها الاعلامية لكنها لم تبد اهتماما كبيرا بموضوع التظاهرات، بل كانت تغطيتها محدودة وتكاد تكون هامشية، فقد تصدرت نشراتها بعض العناوين التي تسلط الضوء على اجراءات حكومة السيد عادل عبد المهدي للحد من التظاهرات ومنها عنوان مثلا « وجه رئيس الوزراء عادل عبد المهدي مؤسسات الدولة والكليات والجامعات الاهلية كافة باستيعاب حملة الشهادات العليا». وعنوان «وفاة مواطن واصابة 200 بينهم اربعون

منتسبا باحتجاجات التحرير» و«خلية الاعلام الحكومي تدعو للتهدئة وضبط النفس». اما برامجها فكانت تتناول ملفات بعيدة عن مضمون الحدث الاهم والابرز وحتى صحيفة الصباح كانت تتناول في مانشيتاتها الرئيسة بعض القضايا التي لا علاقة لها بموضوع التظاهر، وحتى عملية استقالة الحكومة واختيار رئيس الوزراء كانت التغطية هامشية ولم تركز على ذلك الحدث في تغطيتها إلا أحيانا.

13 ـ 2 ـ 3: وسائل الاعلام الحزبية الاسلامية

لم تظهر معظم تلك الوسائل لم اهتماما واضحا في بداية انطلاق التظاهرات ولم تحدد موقفها، والبعض منها بدءا يتناول التظاهرات بشكل موسع بعد ان تطورت الاحداث وسقط عدد من الشهداء والجرحى في بغداد والبصرة وذي قار وكربلاء والنجف وبابل والديوانية وواسط ومنها قناة الفرات وقناة الراصد مثلا، التي أخذت تتناول في تغطياتها الاخبارية اخبار التظاهرات بعناوين: «مواطنون يتظاهرون وسط العاصمة بغداد وقوات مكافحة الشغب تستخدم الغازات المسيلة للدموع» و«شاهد تظاهرات ساحة التحرير في بغداد» و«تظاهرات ليلية واطلاق نار كثيف وسط ميسان» و«سحب الدخان تغطي سماء التحرير والغازات والنيران تفرق حشود المتظاهرين» او «وقفة تضامنية لنقابة المحامين مع تظاهرات ساحة التحرير ببغداد».

اما قنوات آفاق وقناة بلادي والنجباء والعهد والاتجاه واي نيوز وباقي القنوات الاخرى، فقد كان تعاطيها مع التظاهرات بصورة خجولة في بدايتها، وحاولت ان تتناول اخبارها من وجهة نظر الحكومة والقوات الأمنية وتعاملها مع تلك التظاهرات. ومن أبرز عناوينها مثلا «عبد المهدي يدخل اجتماعا طارئا لمجلس الأمن الوطني» او «تصاعد حدة الاحتجاجات في النجف بعد اعتقال 7 متظاهرين» «القوات الأمنية تمنع تظاهرة في البصرة» او «محافظ كربلاء: الكربلائيون يريدون التفرغ لخدمة زائري الأربعينية.. نطلب تأجيل التظاهر».

13 ـ 2 ـ 4: وسائل الاعلام العربية والاجنبية الناطقة بالعربية

قدمت تلك الوسائل الاعلامية تغطيات مركزة لأحداث التظاهرات، إنسجاما مع وظيفتها الإعلامية أو تنفيذا لأجندتها الفكرية والسياسية المحكومة بها، فقد تناولت قناة (العربية الحدث) مثلا تغطيات مستمرة وعلى مدار الساعة واستخدمت الوسائل التي تنقل من خلالها الاخبار واستعانت بصحافة المواطن وما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي فضلا عن شبكة مراسليها في بغداد واربيل. وايضا كانت قناة (الحرة) تنقل التظاهرات وتركز على احداثها بشكل كبير، فقد كانت من أبرز عناوين نشراتها وتغطياتها هي «الأمور تسير نحو انتفاضة كبرى».. «واجراءات عبد المهدي ضاعفت أعداد المتظاهرين» «هل يعلن المحتجون ورقة مطالب؟» و«الى أي طرف سوف يوصلونها؟» و«السيستاني يدعو الى تشكيل لجنة من خارج الاحزاب لتحديد خطوات الاصلاح الخمس» و«ارتفاع حصيلة القتلى الى 31 قتيلا»... «عبد المهدي يحاول تهدئة الاحتجاجات ويعد بإصلاحات سياسية واقتصادية وخدمية واسعة»... «تطورات دهس للمظاهرين في ساحة الطيران وإطلاق نار كثيف جدا وتحليق مروحي»... «قائد شرطة كربلاء يقود شخصيا قوة لملاحقة واعتقال المتظاهرين في الازقة»... «حصيلة جديدة عن الضحايا وحرق مقرين للعصائب ومثلهما للحكمة»... «اقالة قائد شرطة ذي قار بعد ارتفاع حصيلة ضحايا الرصاص الحي بين المتظاهرين».

13 ـ 2 ـ 5: وسائل الاعلام الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي

اختلفت وسائل الاعلام الإلكتروني في توجهاتها نحو ازمة التظاهرات، إذ كانت هناك وسائل تعمل من خلال الجيوش الالكترونية في مواقع التواصل الاجتماعي وبعض الوكالات الالكترونية التي تبث اخبار وصور ومقاطع صحيحة ومفبركة لتشويه صورة التظاهرات، بينما هناك صفحات على الفيس بوك وتويتر اخذت على عاتقها دعم التظاهرات وادامة الزخم والحشد الجماهيري وتوفير الدعم المالي والاقتصادي لها وهي كثيرة جدا.

13 ـ 3: تعامل وسائل الاعلام مع حادثة اغتيال المهندس وسليماني

كانت بداية العام 2020 ساخنة امنيا بالنسبة للعراق والمنطقة، بعد ان قامت طائرة مسيرة امريكية، وبأمر مباشر من الرئيس الامريكي دونالد ترامب، باغتيال نائب رئيس هيأة الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس وقائد فيلق القدس الايراني الجنرال قاسم سليماني بضربة جوية بالقرب من مطار بغداد الدولي فجر الثالث من كانون الثاني (يناير) 2020. اعقبه قيام الولايات المتحدة في اليوم التالي، الرابع من كانون الثاني، بغارة استهدفت موقعا للحشد الشعبي في منطقة التاجي شمال بغداد، وسط انباء عن سقوط 6 ضحايا.

ورفع اغتيال المهندس وسليماني من سخونة المواجهة المفتوحة والساخنة اصلا بين الولايات المتحدة من جهة، وإيران وأصدقائها في العراق من جهة اخرى، رافقه تصعيد اعلامي مكثف من قبل وسائل اعلامية تابعة لفصائل في الحشد الشعبي، ونقل تصريحات نارية، ودعوات للثأر والانتقام من قبل قيادات تلك الفصائل، التي توصف بأن لها اتصالا مباشرا مع إيران.

وفي الخامس من كانون الثاني (يناير)2020، استدعت وزارة الخارجية العراقية، السفير الامريكي في العراق ماثيو تولر، وأبلغته إدانتها للضربات الجوية الأمريكية التي أدت إلى مقتل قائد «فيلق القدس» الإيراني قاسم سليماني، ونائب رئيس «هيأة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس، ومنتسبين آخرين من الحشد. وتم إبلاغه ـ بحسب بيان الوزارة ـ إدانة العراق للضربات الجوية الأمريكية في بغداد ومدينة القائم بمحافظة الأنبار، معتبرة ان هذا العمل يمثل انتهاكا صارخا لسيادة العراق ولجميع الأعراف والقوانين الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول»، مطالبا واشنطن بـ«منع استخدام أراضي العراق في تنفيذ اعتداءات على دول الجوار». وان ما حدث من اعتداءات يخالف ما تم الاتفاق عليه من مهام للتحالف الدولي التي تنحصر بمحاربة تنظيم داعش الإرهابي وتدريب القوات الأمنية العراقية، بالتنسيق مع الحكومة العراقية وإشرافها».

وفي اليوم نفسه صوت مجلس النواب العراقي على قرار إنهاء وجود القوات الاجنبية في العراق، في ظل غياب الكتل الكردية والسنة عن الجلسة. وقبل التصويت تمت استضافة السيد رئيس وزراء حكومة تصريف الاعمال عادل عبد المهدي للإدلاء بشهادته بشأن ما حصل. وقد كشف عادل عبد المهدي، أنه كان على موعد مع قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني، قاسم سليماني، يوم اغتياله، أي الجمعة. مضيفا «ان سليماني كان سيسلمني الرد الإيراني على رسالة سعودية سابقة إلى طهران من خلالنا لتخفيف التوتر في المنطقة».

وأفادت وسائل الاعلام أنه بعد خمسة ايام من مقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني، وجهت إيران يوم 8 كانون الثاني (يناير) 2020: ضربة صاروخية على قاعدتي عين الاسد في الانبار وحرير في اربيل اللتين تضمان

جنودا امريكيين. من دون ان ترد امريكا على الضربة. وتحدثت وسائل اعلام ايرانية عن إطلاق عشرات الصواريخ ارض ـ ارض باتجاه القاعدتين، فيما اعترفت الولايات المتحدة بسقوط 12 صاروخا فقط.

وتم تشييع جثامين المهندس وسليماني في عدة مدن عراقية وايرانية وسط حشود بشرية كبيرة، مع تغطية اعلامية مكثفة وبث مباشر للتشييع من قبل معظم القنوات الفضائية التابعة لعدد من الأحزاب والفصائل في الحشد الشعبي، فضلا عن التغطية الاعلامية لباقي القنوات الفضائية العراقية ولكن بشكل أبرز التوجهات السياسية لتلك القنوات. وقد فرض حادث الاغتيال نفسه على المشهد الاعلامي العراقي والتغطية الاخبارية في أكثر وسائل الاعلام العراقية بلحاظ الانعكاسات المحتملة للحادث على الوضع الامني في العراق، وربما المنطقة، وسط تباين في حجم التغطية وزاوية التناول، ففيما كان الخطاب الاعلامي حادا ضد الولايات المتحدة، خاصة من جانب القنوات المقربة من إيران، كانت تغطية قنوات اخرى معروفة بقربها لدول الخليج عادية وربما ضعيفة. فيما كانت قنوات الحرة والعربية والعربية الحدث وسكاي نيوز تحاول أن تخفي تأييدها للضربة الامريكية التي قتل فيها المهندس وسليماني.

وأعلنت فصائل المقاومة العراقية ان انتقامها لقتل المهندس وسليماني سيكون مستقلا عن الرد الايراني، وتم شن هجمات صاروخية بالكاتيوشا على المنطقة الخضراء حيث توجد السفارة الامريكية، وعدد من القواعد التي تتواجد فيها القوات الامريكية، بما فيها محيط مطار بغداد الدولي. واتبعت تلك الجهات تكتيكا اعلاميا جديدا عبر تبني العديد من الفصائل غير المعروفة للهجمات بصواريخ الكاتيوشا على السفارة والقواعد الامريكية في العراق.

كما ان تكرار الهجمات لعدة أشهر، وتطورها في وقت لاحق لاستهداف ارتال الدعم اللوجستي الامريكية على الطرق الخارجية، كان له صدى اعلامي واسع في الاعلام العراقي، بين مؤيد له باعتباره وسيلة ضغط لاخراج القوات الامريكية من العراق، وبين منتقد له بوصفه استهدافا لبعثات دبلوماسية تقع مسؤولية حمايتها على عاتق الحكومة العراقية.

ففي شهر كانون الثاني (يناير) تم إطلاق أكثر من 18 صاروخ كاتيوشا، خلال سبعة هجمات صاروخية على المنطقة الخضراء التي توجد فيها السفارة الامريكية وقاعدة بلد الجوية التي تضم قوات امريكية. على خلاف شهر شباط (فبراير) 2020 الذي لم يعلن فيه سوى عن هجوم واحد بثلاثة صواريخ على المنطقة الخضراء.

كما تعرضت وسائل اعلام ووكالات اخبارية امريكية في مقدمتها قناة الحرة الى تهديدات متكررة، اتخذتها ادارتها سببا لاغلاق مكتبها في بغداد بشكل نهائي وتسريح أكثر من 150 من الصحفيين والعاملين فيه، ونقله الى اربيل.

لكن الهجمات عادت وتكثفت خلال شهر اذار (مارس) 2020، الذي شهد سبعة هجمات صاروخية كانت احداها على معسكر التاجي واسفرت عن قتيلين من الجنود الامريكيين، وجرح بريطاني واحد، ما اعاد موضوع الهجمات والصراع في العراق الى واجهة الاهتمام الاعلامي، خاصة مع سقوط ضحايا امريكان وجريح بريطاني.

وفي 5 اذار (مارس)، اتهمت كتائب حزب الله العراق في بيان لها رئيس جهاز المخابرات العراقي السيد مصطفى الكاظمي بالتورط في عملية اغتيال نائب رئيس هيأة الحشد الشعبي العراقي ابو مهدي المهندس والجنرال سليماني. ورد جهاز المخابرات في العراق معتبرا أن بعض التصريحات التي تداولتها وسائل الإعلام حول

رئيس جهاز المخابرات الوطني العراقي، تؤذي البلاد وتهدد السلم الأهلي، في رد على كتائب حزب الله العراقية دون أن يسميها.

وفي 17 آذار (مارس): اعلنت الولايات المتحدة الامريكية انها تنوي الانسحاب من 3 قواعد عسكرية في العراق، وان الجيش الأمريكي سينسحب في الأسابيع المقبلة من قاعدة القائم إضافة إلى قاعدتين عسكريتين أخيريين له في العراق. ويشير القرار بالانسحاب من 3 من أصل 8 قواعد لها في العراق.

ولم ينجح الاعلان الامريكي في ايقاف الهجمات الصاروخية على السفارة الامريكية ومحيطها في المنطقة الخضراء، والقواعد الامريكية في عدة مناطق عراقية، ما دفع وزير الخارجية الامريكي مايك بومبيو الى الاعلان في 31 آذار (مارس) ان امريكا سترد على الهجمات التي تستهدف مواطنيها في العراق.

وبعد اعلان بومبيو بيومين، اعلنت القيادة المركزية الأمريكية في الثاني من نيسان (أبريل) نقل أنظمة دفاعية إلى العراق لحماية قوات التحالف الدولي ومن ضمنها القواعد الأمريكية في البلاد.

وفي اليوم نفسه أعلن الأمين العام للناتو ينس ستولتنبيرغ، أن حلف شمال الأطلسي قرر توسيع مهمته في العراق عبر القيام بتدريب كوادر الجيش الوطني وقوات الأمن.

وفي 4 نيسان (ابريل)، سلمت القوات الاميركية بالفعل مواقعها في قاعدة الحبانية للقوات العراقية.

فيما اعلنت في 11 نيسان (ابريل) عن جائزة تبلغ 10 ملايين دولار مقابل معلومات عن ممثل حزب الله اللبناني في العراق الشيخ محمد الكوثراني، متهمة إياه بتولي بعض الأنشطة للتنسيق السياسي بين الجماعات شبه العسكرية المقربة من إيران ضد الاهداف الامريكية.

في11 نيسان (ابريل) ايضا، اعلنت واشنطن تفعيل انظمة باتريوت الدفاعية في العراق لحماية القوات الأميركية بالقواعد التي تعرضت لهجمات. في السادس من ايار(مايو) نالت الحكومة الجديدة برئاسة السيد الكاظمي ثقة مجلس النواب، لتبدأ مرحلة جديدة في العراق، صاحبها تغيرا في الخطاب الاعلامي، بعد تعهد الكاظمي بجملة امور منها ايقاف الهجمات على البعثات الدبلوماسية.

كان شهر حزيران (يونيو) من العام 2020 ساخنا جدا ومليئا بالتطورات التي اثارت اهتماما اعلاميا واسعا داخل العراق وخارجه، فقد شهد هذا الشهر اطلاق 9 صواريخ كاتيوشا في 5 هجمات على المنطقة الخضراء ومحيط مطار بغداد الدولي وقاعدة التاجي العسكرية.

وبشكل مفاجئ قرر الامين العام لحركة عصائب اهل الحق الشيخ قيس الخزعلي في 9 حزيران/يونيو، اغلاق مقرات عصائب اهل الحق في الوسط والجنوب. وأكد الخزعلي أن ذلك جاء نظرا لتطورات الأوضاع الصحية والسياسية ووجود معلومات عن أجندات ومشاريع أجنبية تستهدف إعادة تأجيج مشروع الفتنة.

وفي 27 حزيران (يونيو) أعلن العميد يحيى رسول الناطق باسم القائد العام للقوات المسلحة عن قيام جهاز مكافحة الارهاب باعتقال 14 من مطلقي الصواريخ جنوب العاصمة بغداد.. مع منصات إطلاق صواريخ»، مبينا ان «عملية توقيف مطلقي الصواريخ تهدف لاستعادة هيبة الدولة العراقية، مشددا ان الحكومة العراقية لن تسمح باستهداف المنطقة الخضراء. وسائل الاعلام غطت خبر اعتقال الاشخاص التابعين لكتائب حزب الله بشكل واسع

باعتباره اول مرة يقوم فيها جهاز مكافحة الارهاب بمتابعة مطلقي الصواريخ ضد السفارة الامريكية في المنطقة الخضراء، الى جانب صدور تهديدات من فصائل في الحشد الشعبي.

وبعد ساعات من الاعتقال، اقتحم عناصر من كتائب حزب الله مقرا لجهاز مكافحة الإرهاب في المنطقة الخضراء وسط العاصمة بغداد، حيث يوجد مقر الحكومة وعدد من السفارات الأجنبية، ضمنها السفارة الأميركية.

وبعد ثلاثة ايام مليئة بالتوتر والتهديدات المتبادلة بين الحكومة وفصائل في الحشد الشعبي، تم إطلاق المعتقلين، حيث أعلن مصدر عسكري عراقي إنه تم الإفراج عن جميع المعتقلين الـ14 لعدم وجود أدلة على حيازتهم صواريخ أو قاذفات. من جهته، أكد المتحدث العسكري باسم كتائب حزب الله جعفر الحسيني أن المقاتلين الـ14 أطلق سراحهم «لعدم ثبوت الأدلة» لدى قاضي الحشد، معتبرا أن هذا دليل على أن «التهمة كيدية». ونقلت وسائل إعلام عن المطلق سراحهم وهم يقدمون فور إطلاق سراحهم على حرق أعلام أميركا وإسرائيل ودوس صور للسيد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي بأقدامهم. ما ولد خيبة امل بإمكانية نجاح الحكومة في وقف هجمات الصواريخ على المنطقة الخضراء.

وشددت وسائل الاعلام الموالية للحكومة على ضرورة ضبط الاوضاع الامنية ومنع إطلاق الصواريخ على البعثات الدبلوماسية، فيما عدت وسائل الاعلام المقربة من (فصائل المقاومة) ان الحل يكمن في خروج القوات الامريكية من العراق.

وفي شهر تموز (يوليو) استمرت فيه الهجمات، ومعها التصعيد الاعلامي، فقد شنت مجاميع مسلحة خمسة هجمات صاروخية على المنطقة الخضراء ومحيط السفارة الامريكية ومعسكري بسماية والتاجي ومحيط مطار بغداد وبواقع أكثر من 11 صاروخا.

كان اب (أغسطس) كان هو الاعنف من حيث عدد الهجمات الصاروخية، واستخدام تكتيكات جديدة في مهاجمة القوات الدولية في العراق. فقد تم إطلاق قرابة 20 صاروخ كاتيوشا من خلال 8 هجمات على المنطقة الخضراء ومحيطها، وقاعدة بلد الجوية، ومحيط مطار بغداد الدولي، ومعسكر التاجي. كما تم العثور على 9 صواريخ كاتيوشا على منصات جاهزة للاطلاق وتفكيكها.

جديد شهر اب (أغسطس) هو استخدام اسلوب جديد تمثل في مهاجمة الارتال العسكرية وشركات الدعم اللوجستي لقوات التحالف على الطرق الخارجية، حيث تم شن عشرة هجمات في ذي قار والتاجي والديوانية وطريق البصرة ـ ذي قار وغرب بغداد، وقد تبنت الهجمات مجاميع مسلحة غير معروفة وكثيرة العدد، ما اثار الكثير من الجدل الاعلامي والتحليلات والتاويلات عبر وسائل الاعلام داخل وخارج العراق.

وفي ايلول (سبتمبر) تم إطلاق 11 صاروخ كاتيوشا في ثمان دفعات، على مواقع لقوات التحالف قرب مطار بغداد الدولي، ومعسكر التاجي. كما شهد 10 هجمات على ارتال وعجلات دعم لوجستي في ذي قار وشمال بغداد وصلاح الدين وطريق ديوانية ـ حلة.

اما تشرين الثاني (نوفمبر) الذي اجريت فيه انتخابات الرئاسة الامريكية واسفرت عن فوز جو بايدن، فقد شهد إطلاق 12 صاروخ كاتيوشا في 3 هجمات على المنطقة الخضراء ومحيط المطار. كما تعرضت 6 ارتال لقوات التحالف والدعم اللوجستي الى هجمات في بابل والديوانية والسماوة والناصرية.

وشهد الشهر الاخير من العام 2020، ومن ولاية الرئيس الامريكي السابق دونالد ترامب هجوما واحدا على ارتال الدعم لقوات التحالف جنوب بغداد.

ورصدت التقارير الاعلامية تفاصيل اغتيال نائب رئيس هيأة الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس وقائد فيلق القدس الايراني قاسم سليماني في اليوم الثالث من بداية العام، وما اعقبها من هجمات وتهديدات مضادة بين امريكا وفصائل مقربة من ايران، ومعركة لي الاذرع وكسر الارادات بين حكومة السيد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي والفصائل المسلحة بما فيها فصائل في تابعة لهيأة الحشد الشعبي، وحظي كل ذلك باهتمام اعلامي واسع ومكثف، وكان هناك استقطاب واضح في وسائل الاعلام العراقية، بين قنوات داعمة للفصائل المسلحة ومطالبة بتفعيل قرار مجلس النواب وخروج القوات الامريكية من العراق، واخرى داعمة للحكومة في سعيها لوقف الهجمات على البعثات الدبلوماسية والمنطقة الخضراء وضبط السلاح المنفلت في البلاد، فيما بقيت قنوات قليلة، منها الفرات والسومرية في الوسط تقريبا محافظة على استقلالية نسبية في الخطاب الاعلامي.

وكان واضحا ان هناك تهديدات ومخاوف جدية تطارد وسائل الاعلام طوال العام 2020 الذي اتسم بالقلق السياسي والامني.

13 ـ 4: جائحة كورونا.. والاعلام العراقي

سجلت مدينة ووهان بمقاطعة هوبي الصينية في 17 تشرين الثاني (نوفمبر) 2019 أول إصابة بشرية في العالم بفيروس كورونا (كوفيد 19). ولم يبدأ العلماء دراساتهم وأبحاثهم حول كورونا، حتى كانون الثاني (يناير) 2020، في محاولة للتعرف أكثر عن هذا الفيروس المستجد.

ومع انتشار المرض بشكل سريع ومخيف حول العالم، بدأت الحكومة العراقية باتخاذ اجراءات احترازية عاجلة لمنع انتشار المرض في العراق، لا سيما بعد تحول بعض دول الجوار ومنها ايران الى بؤر خطيرة للمرض.

في 3 شباط (فبراير) صدر الامر الديواني رقم 55 لسنة 2020 بتشكيل خلية ازمة لمواجهة فيروس كورونا المستجد.

وفي 21 شباط/فبراير تم تعليق الرحلات الجوية من وإلى إيران بعد تفشي المرض في عدة مدن إيرانية.

اول اصابة مؤكدة تم الاعلان عنها في العراق بفايروس كورونا كانت بتاريخ 24 شباط (فبراير) لطالب ايراني يدرس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف. وفي اليوم التالي أعلن عن تشخيص خمس اصابات بفايروس كورونا المستجد في كركوك. وفي 27 شباط (فبراير) تم الاعلان عن تشخيص اصابة بفايروس كورونا المستجد في بغداد.

ولأن العالم لم يتوصل بعد الى كشف اسرار الفايروس وطبيعته، او العلاجات الطبية له، ولان البنى التحتية لقطاع الصحة في العراق لم تكن مؤهلة لمواجهة وباء كورونا المستجد والخطير، كان لابد من رفع الوعي الصحي لدى المواطنين لتقليل الاصابات بالمرض الى اقصى حد ممكن، وكان لابد من حملات اعلامية مكثفة لبيان مخاطر المرض الغامض، وسبل تجنب الاصابة به، لا سيما بعد اعلان منظمة الصحة العالمية ان لا علاج أو لقاح متاح للمرض قبل نهاية العام 2020، وان العلاج الوحيد هو في الوقاية من الاصابة.

وقد أدى الاعلام العراقي دورا ايجابيا كبيرا في هذا المجال، فإلى جانب نقل التصريحات والتوجيهات الصحية الصادرة عن خلية الازمة والمختصين، اعدت اغلب القنوات الفضائية والاذاعات برامج خاصة، ومقاطع توجيهية عن كيفية التعامل مع الوباء والوقاية منه، كما نشرت الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية معلومات محدثة باستمرار عن الوباء وتطوراته وسبل مواجهته. ولم تخلو التغطية من بعض المبالغات والاخبار غير الدقيقة التي اثارت الرعب في بعض الاحيان، والحقيقة ان المسؤولية لا تقع على وسائل الاعلام فقط، انما على الجهات المعنية لا سيما منظمة الصحة العالمية وبعض المراكز البحثية والشخصيات الطبية التي ادلت بتصريحات ومعلومات كثيرة متناقضة تحت هول الانتشار المروع للمرض في شتى انحاء العالم، ووفاة اعداد كبيرة من المرضى. ما اضطر منظمة الصحة العالمية الى الاعلان عن تحول الفايروس المسبب لمرض كورونا الى «جائحة» عالمية.

وبعد تسجيل أول اصابة في النجف، أعلنت المديرية العامة للتربية في محافظة النجف عن تعطيل الدوام الرسمي في مدارس المحافظة كافة حتى إشعار آخر، وفي 25 شباط (فبراير) عطل الدوام الرسمي في جميع مدارس المحافظات العراقية. وتوقفت جميع الرحلات السياحية في اقليم كردستان مؤقتا من قبل الهيأة العامة للسياحة.

ولتقليل مخاطر انتشار الوباء، أعلن وزير التعليم العالي والبحث العلمي في 26 شباط (فبراير)، اقتصار الدوام الرسمي في المؤسسات التعليمية على رؤساء الجامعات ومساعديهم وعلى الموظفين الضروريين فقط. وفي اليوم نفسه قررت خلية الأزمة غلق جميع دور السينما والنوادي والمقاهي والمنتديات لمدة 10 أيام وتعطيل الدوام في المؤسسات التربوية والجامعات لمدة 10 أيام.

في 4 اذار (مارس)، بلغ مجمل الاصابات المؤكدة في العراق 35 اصابة، كما تم الاعلان عن اول وفاتين بمرض كورونا، في بغداد والسليمانية.

وفي 5 آذار (مارس) قررت العتبة الحسينية إلغاء إقامة صلاة الجمعة في مدينة كربلاء بسبب فيروس كورونا، كما تم تعليق صلاة الجماعة في جميع العتبات المقدسة والمساجد حتى اشعار اخر.

وفي 8 اذار (مارس)، اعلنت وزارة الصحة وفاة حالتين لمصابين بفيروس كورونا في ميسان وبابل.

في 9 اذار (مارس)، قررت لجنة الامر الديواني 55، منع التجمعات بكافة أشكالها وتوجيه المواطنين بتجنب التوافد لزيارة المدن والعتبات المقدسة في مواسم الزيارة بالوقت الحاضر ولمدة محددة حفاظا على أرواحهم وأرواح عوائلهم وسلامة مدنهم، والاستمرار أما بإيقاف الفعاليات الرياضية او اقامتها دون حضور الجمهور، واغلاق قاعات الاحتفالات والمناسبات، ومنع نصب السرادقات، وتوجيه المواطنين بعدم إقامة مناسبات الأفراح والأحزان والفعاليات الاجتماعية الأخرى التي تتضمن حصول تجمعات. كما ألزمت خلية الازمة العراقيين العائدين من إيران والصين، وكوريا الجنوبية، وايطاليا، واليابان، وتايلند، وسنغافورة، والكويت والبحرين، الالتزام بالحجر المنزلي وعدم الاختلاط، لمدة 14 يوما، على أن تقوم الفرق الطبية المتخصصة التابعة لدوائر الصحة بمتابعة حالتهم الصحية في منازلهم.

واهتمت وسائل الاعلام بقرار مجلس الوزراء تأليف لجنة عليا للصحة والسلامة الوطنية بهدف مكافحة فيروس كورونا. وتتولى اللجنة «وضع السياسات والخطط العامة والإشراف على تنفيذها وأخذ القرارات الرئيسية وتعزيز

التكامل بين الجهات التنفيذية كافة، والتنسيق مع السلطات التشريعية والقضائية، والجهات الدولية ذات الصلة بمكافحة انتشار الفيروس». وتخول اللجنة بـ»صلاحيات مجلس الوزراء، وتكون هي الجهة العليا المعنية بمكافحة انتشار الفيروس وترتبط بها جميع الخلايا واللجان والتشكيلات الأخرى ذات الصلة».

إن التمديد المستمر لحظر التجوال الشامل، قطع الطرق داخل وخارجها، وافرز حالة من الاستياء الشعبي والاحتجاج، خاصة بين اصحاب الاعمال الحرة والعمال بالاجر اليومي، وباتت بعض وسائل الاعلام تخصص جزءا من برامجها لتغطية التذمر وشكوى الناس من الاثار السلبية للحظر الشامل واغلاق الاسواق والمشاريع التي تمثل مصدر رزقهم الوحيد، واجابات المسؤولين على ذلك. وقد نجحت الحملة في تشجيع الدولة على اتخاذ اجراءات أكثر مرونة مع الحفاظ على صحة الجميع.

لقد أدى الاعلام العراقي دورا ايجابيا كبيرا خلال جائحة كورونا، من خلال نقل التعليمات والتوجيهات الصحية الرسمية، والاهتمام بزيادة التوعية الصحية، والتخفيف عن كاهل العوائل العراقية في ظل الحظر الثقيل والطويل للتجوال. مع الاعتراف بوجود بعض الاخبار التي تسببت برفع مستوى القلق والخوف كونها افتقرت الى الدقة، او انها عرضت بشكل انتقائي وغير صحيح.

كما أدت المرجعية الدينية والعتبات الدينية لاسيما الحسينية والعباسية في كربلاء والوقف السني دورا داعما في توعية الناس والعمل على تقليل الاصابات الى ادنى حد ممكن. كما نشرت وسائل إعلام قيام العتبات المقدسة بتأسيس مستشفيات كاملة وتجهيزها، لمكافحة كورونا، وتجهيز المراكز الصحية الحكومية بالكثير من المستلزمات الطبية، وسجلت موقفا تاريخيا مشرفا، يحسب لها، الى جانب الجهد الرسمي.

13 ـ 5: تقويم دور الاعلام عام 2020

ويمكن تأشير نتائج عدة فيما يخص وسائل الاعلام المحلية في معالجة وتغطية أبرز الاحداث في عام 2020 وكما يأتي:

1 ـ لوحظ ضعف التغطيات الاعلامية للقنوات الحكومية والجهوية التابعة لبعض الاحزاب والكتل الداعمة لحكومة السيد عادل عبد المهدي فيما يتعلق بالتظاهرات والحراك الشعبي التشريني 2019 ـ 2020، واقتصرت التغطية على نشر أخبار وتقارير متفرقة، بل وصل في بعضها الى وصف بعض القائمين بالتظاهرات بالخارجين عن القانون والمدعومين خارجيا وغيرها من الاوصاف، واقتصر العمل على وسائل اعلام محددة بثت تغطيات ميدانية، فيما اكتفت وسائل اعلام اخرى بنشر اخبار مقتضبة محدودة حول التظاهرات.

2 ـ برغم حظر الانترنت والتضييق الحكومي والتقييدات المتنوعة تم الاعتماد على بعض البرامج على مواقع التواصل الاجتماعي التي كانت مصدر لكثير من وسائل الاعلام والقنوات الفضائية المحلية والعربية والدولية، فقد تم نشر العشرات من مقاطع الفيديو والصور والاخبار عن التظاهرات على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك الموقف من استقالة حكومة السيد عادل عبد المهدي واختيار رئيس وزراء جديد.

3 ـ تحولت عدد من مواقع التواصل الاجتماعي الى ما عرف بـ(صحافة المواطن)، وخصوصا «تويتر» والفيس

بوك التي عدت منصات رئيسة لنشر أخبار التظاهرات واستقالة الحكومة واختيار رئيس وزراء واحداث انتشار فيروس كورنا وكان لها دور بارز في كل هذه الاحداث.

4 ـ شاب عملية التغطية الاعلامية للتظاهرات وازمة انتشار فيروس كورونا نشر اخبار مفبركة، مما أسهمت في كثرة التأويلات والاخبار والصور ومقاطع الفيديو العائدة الى أشخاص غير مختصين، ويدعون معرفتهم بتفاصيل الوباء، وانتشرت في التغطيات الاعلامية لتلك الاحداث.

5 ـ تحدثت وسائل اعلام عن إجراءات غير شفافة، اتبعتها حكومة السيد عادل عبد المهدي في التعامل مع وسائل اعلام معينة، وقطع الانترنت، وتقييد حركة الاعلاميين كثيرين، مما ولد موجة من الانتقادات الواسعة من قبل منظمات الدفاع عن حقوق الانسان وحرية الرأي والتعبير، ومنظمات دعم الصحافة والاعلام، وهو ما أسهم في تراجع ترتيب العراق في سلم حرية الصحافة العالمي الى مستويات متدنية، وانعكس سلبا على تعامل المجتمع الدولي مع العراق.

ويوصي تقرير الرصد في الجانب الاعلامي لمواجهة مثل هذه الازمات في المستقبل بالآتي:

1 ـ على الجهات الرسمية تجنب تكرار اخطاء الحكومات السابقة بأغلاق وسائل الاعلام المحلية والعربية والاعتداء عليها، ومنع الصحفيين من متابعة الاحداث المهمة، لان حجب التغطيات ومنعها، على الرغم من تحقيقه اهدافا تراها الجهات الحكومية ضرورية، الا ان تداعياتها كبيرة اثناء ازمة التظاهرات، اذ يؤثر ذلك على انتشار الاشاعة والفوضى وينعكس على السلم والامن المجتمعي، وعلى سمعة البلاد في حفظ حرية الراي والتعبير.

2 ـ على الجهات والوسائل الاعلامية التي فشلت في معالجة ازمة التظاهرات وازمة فيروس كورونا ان تدرك ان محاولات منع التغطيات الاعلامية واخفاء الحقائق والتعتيم على احداث مهمة مثل التظاهرات او انتشار فايروس كورونا لا يمكن اخفائه في عصر التطور التكنولوجي الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي وعصر (صحافة المواطن).

3 ـ ان اتخاذ قرارات غير مدروسة مثل حظر الانترنت ومنع بعض الصحفيين من أداء عملهم وغلق مكاتب قنوات فضائية ووسائل اعلام يدفع نحو انتشار الشائعات والاخبار المزيفة والكاذبة عن الاحداث عبر وسائل اعلام (صفراء) وجيوش الكترونية، تستغل ذلك لبث خطاب الكراهية وترويج منشورات تهدد السلم والامن الاهلي.